مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

ريادة الحوزة العلميّة؛ صناعة للعلم وقيادة للمجتمع

الشيخ حسن أحمد الهادي

2024

www.barathacenter.com

الأبعاد الجيوستراتيجيّة لفتوى الجهاد الكفائيّ

أ. أحمد الخالصي

◆ تاريخ الطبعة:
2024 م- 1446هـ

◆ مكان الطبعة:
بيروت - بغداد

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

ريادة الحوزة العلميّة؛ صناعة للعلم وقيادة للمجتمع

◂ الشيخ حسن أحمد الهادي[1]

ملخّص

كـثرَت الحلقات العلميّة في المسـاجد، وتنوّعَت التخصّصات في عصـور الأئمّة (ع). ليتبلور بعد ذلك، كيان الحوزة العلميّة، كمؤسّسـة تعليميّة تقوم على مبدأ الفكر الاجتهاديّ، إلى أن تشكّلَت في شكلها الحاليّ، على مراحل، ساهمَت كلٌّ منها في تطوُّر العلوم وإصلاح الحوزة العلميّة، بما ينسجم مع الاحتياجات والتحدّيات المعاصرة. وهكذا، شكّلَت الحوزة العلميّة المرجعيّة الفكريّة والسياسـيّة والاجتماعيّة للمجتمـع، على تنوُّع مكوّناته، وحُفِظَت هويّـة الحوزة واسـتقلالها؛ إداريًّـا وماليًّا، وتطـوّرَت العمليّـة التعليميّة، فرسـمَت منهجها الاجتهاديّ والتحقيقيّ، الذي سـاهم في صناعة المعرفة، وتبليغ الرسالة، والدفاع عن الدين، وحِفظ بيضة الإسلام، وإرساء تعاليم الدين الإسلاميّ. ولم يغب الفكر الإصلاحيّ والجهاديّ والتبليغيّ، على امتداد العصور والأزمنة، عن الحوزة العلميّة، حيث برز لهذه الغاية شخصيّاتٌ فذّة في تاريخ الحوزة العلميّة، كان لها حضورها الفاعل والمؤثّر في الميادين كلّها.

الكلمات المفتاحية:
الدعـوة الإسـلاميّة، المسـجد، الحـوزة العلميّة، الشـيخ الطـوسيّ، النجف الأشرف، قمّ المقدّسة، التعليم الدينيّ، إصلاح الحوزة، المجتمع الإسلاميّ.

1 - أستاذ في الحوزة الدينيّة وجامعة المصطفى (ص).

مقدّمة

بدأت مسيرة الحوزة العلميّة مع أوائل تباشير البعثة النبويّة الشريفة، حين صدح الوحي بـ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، لترتسم المعالم الأولى للدعوة الإسلاميّة، بإرساء أُسُس التربية والتعليم في الإسلام، وذلك على قاعدة أنّ «التربية والتعليم» محور حركة الأنبياء (ع) والمصلحين في التاريخ الإنسانيّ؛ لِما لهما من دور في صنع الإنسان وتحصين شخصيّته، وبناء المجتمع الواعي والحضاريّ والمتماسك. لذا، بدأ النبيّ الأكرم (ص)، كأوّل معلّمٍ في الإسلام، بتعليم أصحابه، والمؤمنين به، وكان محور التعليم في مرحلته تلك، هو النصّ القرآنيّ، باعتبار أنّه النصّ الدينيّ المدوَّن الوحيد. ثمّ مع الهجرة إلى المدينة، تنتقل الدراسة بعد ذلك إلى المسجد، وهو ما نلاحظه في الروايات التي تؤكّد صلة المسجد بالعلم والتعليم، كقوله (ص): «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا، أَوْ لِيُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ أَجْرُ مُعْتَمِرٍ تَامَّ الْعُمْرَةِ؛ وَمَنْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا،

1 - سورة العلق، الآية 1.

أَوْ لِيُعَلِّمَهُ، فَلَهُ أَجْرُ حَاجٍّ تَامَّ الْحِجَّة»[1]. ومن هنا، اكتسبَت المساجد طابع المنهال للعلم والمعرفة، وبقي المسجد مركزًا للعلم، حتّى عصور الأئمّة (ع)، قال الحسن بن عليّ بن زياد الوشاء لابن عيسى القمّيّ: «إنيّ أدركتُ في هذا المسجدِ -يعني مسجد الكوفة- تسعمئةِ شيخٍ يقولون: حدَّثَني جعفر بن محمّد»[2]. وهكذا بقيّة المساجد في الأمصار المختلفة.

ثـم تنتقّل حلقات العلـم والتعلّم لاحقًا، من المسـاجد إلى مدارس بُنِيَت للـدرس والتدريس. ولعلّ السـبب في ذلـك تغيرُّ أسـاليب التدريس، وكثرة الحلقات، وتطوُّر العلوم، وإدخال موادّ دراسيّة أخرى أُضيفَت إلى دراسة القرآن الكريم. ويبدو -بحسب ما ذكره المؤرّخون- أنّ المدارس الإسلاميّة ظهرَت في نهاية القرن الثاني الهجريّ، ثمّ انتشرَت، لاحقًا، في الكثير من البلدان. وكانت من هـذه المدارس، الحوزة. والحوز: هي كلّ موضع إذا أُقِيمَ حواليه سـدّ أو حاجز[3]. فالحـوزة، إذًا، بمفهومها اللغويّ العامّ، هي: المكان المحدّد. وفي مـا بعد، أصبح مصطلحًا للمدارس الدينيّة الشـيعيّة، التي تعتمد على المنهج التعليميّ الإسـلاميّ المبنيّ على الفكر الاجتهاديّ، وتعليم العلوم الإسلاميّة الأخرى، ونشرها. وفيما يلي إيجازٌ لتبلوُر كيان الحوزة العلميّة عند الإماميّة.

1 - المجلسيّ، بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ج1، ص185.
2 - أحمد بن عليّ بن أحمد بن العباس، أبو العبّاس، رجال النجاشيّ، 12، 7.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادّة (حوز)، ج5، ص 342.

1 - حوزة النجف الأشرف

تختلف أقوال المؤرّخين في بداية إرساء مدينة النجف الأشرف كمركز علميّ للحوزة العلميّة. ففي حين يتبنّى بعضهم أنّ الحوزة العلميّة نشأَت قبل زمن الشيخ الطوسيّ (قده) -وتعتمد هذه النظريّة على وجود البيوتات العلميّة القديمة، مِن قَبيل: آل شهريار، وآل الطحال، وغيرهم في النجف. ويرى آخرون أنّ الحوزة العلميّة نشأَت في زمن الشيخ الطوسيّ (قده)، وقبل ذلك لم يكن هنا شيء يمكن تسميته بالحوزة العلميّة، وذلك حوالي عام 450هـ؛ حيث أقام للحوزة تنظيمًا مركزيًّا، بُذل فيه الكثير من الجهد لتطوير العلوم الإسلاميّة، كالفقه والأصول والحديث، «وانفصل عن حوزته الأساسيّة في بغداد، وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف، وتفرَّغ في مهجره للبحث وتنمية العلم»[1].

2 - حوزة الحلّة

انتقلَت الحوزة العلميّة من بغداد والنجف، بعد الغزو المغوليّ إلى «الحلّة»، التي وفَّر لها تدبيرُ علمائها ووجهائها نوعًا من الحماية، جرّ إليها العلماء من بغداد، وبرز فيها علماء أعلام، كابن إدريس الحلّيّ (ت 598هـ)، والمحقّق الحلِّيّ (ت 676هـ)، وجمال الدين بن المطهّر المعروف بالعلاّمة الحلّيّ (ت 726هـ). ومن أهمّ نتاجات هذه الفترة، كان كتاب «السرائر»،

1 - الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، المعالم الجديدة، المقدّمة.

تأليـف ابن إدريـس، الذي ترك كبير الأثـر في إحداث تلك الهـزّة التي كان يحتاجها الفقه الشيعيّ بعد الشيخ الطوسيّ، لاستمرار الحركة الاجتهاديّة.

3 - حوزة كربلاء

اتُّخِذَت كربلاء مقرًّا للحوزة العلميّة في بعض المراحل التاريخيّة (حوالي 1150هـ إلى 1212هـ)، وبرز فيها عدد من العلماء، ممّن كان لهم تأثيرهم على ضمـور البحث في أصول الفقه في حوزة النجف؛ وذلـك لأنّ الجوّ الغالب عليهم كان الاتّجاه الإخباريّ. وقد قدَّم أصحاب هذا الاتّجاه للفقه خدماتٍ حَفِظَها التاريخ لهم، وبرز منهم الشـيخ «يوسـف البحرانيّ»، صاحب كتاب «الحدائـق الناضرة» كممثل للإتجاه الإخباريّ، فيما بَـرَزَ من ممثّلي الاتّجاه الأصوليّ المعاصرين للبحرانيّ، الشيخ «الوحيد البهبهانيّ».

4 - حوزة قمّ المقدّسة

يرى بعض العلماء والمحقّقين أنّ حوزة قمّ المقدّسـة من أقدم الحوزات الشـيعيّة؛ حيث تعود بداية اتّخاذ هـذه المدينة مركزاً علميًّـا إلى زمن الإمام الجـواد (ع)، حيث كان نشـوؤها في أواخر القرن الهجـريّ الثاني، أو -على الأقلّ- منذ أوائل القرن الثالث، حينما ظهرت مراكز دينيّة مثّلَت نواة الحوزات العلميّـة. وقـد كانت حوزة قـمّ في عهد آخر ثلاثـةٍ من أئمّتنـا (الجواد (ع)

والهادي (ع) والعسكريّ (ع)، أو ما عُرِفَ لاحقًا بعهد القمّيّين، حوزةً علميّةً بالمعنى الحقيقيّ للكلمة؛ إذ كان يجري فيها التدريس، والتتلمذ، والبحث، والتدوين، والنشر، وهو ما تدل عليه آثار العظماء، من أمثال الأشعريّيْن وآل بابويه وآخرين. وتوجد شواهد تاريخيّة عدّة تدلّ على تلك الحركة العلميّة في مدينة قمّ، منها ما ورد في ترجمة إبراهيم بن هاشم (القرن الثالث الهجريّ)، حيث يقول النجاشيّ: «... وأصحابنا يقولون: أوّل مَن نشر حديث الكوفيّين بقمّ هو [إبراهيم بن هاشم][1]».

إلّا أنّ هذه الحوزة عَرَفَت فترات أوج وركود، ثمّ تجدّدَت معالمها، ونهضَت بفضل مساعي الشيخ عبد الكريم الحائريّ (1276هـ ـ 1355هـ) الذي اعتنى بالحوزة ومدارسها وطلّابها وبرامجها، عناية فائقة، إذ «هبط الشيخ الحائريّ مدينة قمّ المشرّفة في شهر رجب سنة 1304هـ، فنظّم مَن كان فيها من طلّاب العلم تنظيمًا عاليًا، وأعلن عن عزمه على جعلها مركزاً علميًّا يكون له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه... وسنَّ نظامًا للدراسة، وقرّر تنظيمًا للدراسة، وترتيبًا مقبولاً للإشراف على تعليم الطلّاب، وإجراء الامتحان السنويّ...»[2].

ولا ينبغي أن يغيب عن البحث، حوزة بغداد، التي تأسّسَت على يد الشيخ

1 - أحمد بن عليّ النجاشي، رجال النجاشيّ، ط5، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلامي، 1416هـ.

2 - آغا بزرك الطهرانيّ، طبقات أعلام الشيعة، مج3، ص 1159.

المفيد، ومن بعده السـيّد المرتضى، والشـيخ الطوسيّ. والحوزات العلميّة الشـيعيّة في «بلاد الشـام» و«طرابلس» و«حلب»، التي أنجبَت فقهاء عظامًا خلّدهم التاريخ، وضمَّت آثارهم كتب الفقه الشيعيّ.

الخصائص العلميّة والفكريّة والمنهجيّة للحوزة العلميّة

حتّـى الوقت الحاليّ، أهـمّ خصائص الحـوزة العلميّة كونُهـا المرجعيّة العلميّة التربويّة الأساسيّة لناحية صياغة الرؤية التربويّة والمرتكزات العمليّة التعليميّة، بما يؤكّد دور الحوزة في حفظ التراث الإسـلاميّ، وصيانة المنابع الأساسـيّة للتشريع، والمعرفة الإنسـانيّة، ورفد الفكر والمجتمع الإسلاميّين بمنظومة من المناهج والبرامج والرؤى التي تثري الجانب المعنويّ والثقافيّ في المجتمع، إلى جانب قيادة المرجعيّة الدينيّة للمجتمع في قضاياه المصيريّة والإستراتيجيّة.

وهـو ما أضـاف إلى الحـوزة العلميّة بُعـدًا ودوْرًا في المرجعيّـة الفكريّة والسياسـيّة والاجتماعيّـة للمجتمع، عـلى تنوُّع مكوّناته، عـبر صياغة رؤية الإنسـان المؤمـن والمسـؤول إلى الحياة وقضاياهـا، ومسـاهمتها في بناء الهويّة الشخصيّة والاجتماعيّة والخُلُقيّة. وما ساهم في تعزيز هذا الدور، هو الاستقلال الماليّ والإداريّ للحوزة الدينيّة، بجميع مكوّناتها، من فقيه ومرجع وطالب وأسـاتذة ومناهج دراسـيّة، بفضل ابتعاد مصادر تمويل الحوزة عن

السـلطات السياسـيّة المتعاقبة على الحكم، مع صرف النظر عن طبيعة هذه الأنظمة من الناحية الشرعيّة؛ فسـواء كان النظام علمانيًّا أو كان غير علمانيّ، فإنّ رسـالة الحوزة الدينيّة تمنعها أن تكون تابعًا، بـأيّ وجه من الوجوه؛ فقد يَفـرِض الاتّصال الماليّ بالسـلطة، في الحـدّ الأدنى، السـكوت عن أفعال السـلطات، مضافًا إلى فقدان الكثير من المخزون الروحيّ والقيميّ للحوزة العلميّة.

غاية الحوزة العلميّة وأهدافها (التربويّة، الفكريّة، العلميّة)

للغاية النهائيّة دور مهمّ في تشكيل العمليّة التربويّة والتعليميّة، وفي الأنظمة التربويّة يتحدّد نوع الهدف، وفقًا لنظرتنا للإنسـان والمجتمع. ففي الأنظمة الوضعيّـة التي لا تعـترف بالبُعد الإلهـيّ والدينيّ للإنسـان، تظلّ الأهداف التعليميّة والتربويّة محصورة في نطاق الأبعاد المادّيّة والاجتماعيّة ونحوها... فتُبذَل الجهود كي يلتزم أفراد المجتمع بالقوانين والسلوك الاجتماعيّ المقبول جماعيًّا، بصرف النظر عن خُلُقيّته. لكنّ الغاية النهائيّة لا تمثّل الهدف التربويّ الوحيـد للإنسـان في منظار الفكر التربويّ المسـتند إلى الوحـي؛ فللحوزة العلميّة رسالة عالميّة للإنسـانيّة؛ ولذلك، فهي تستثمر التعليم كوسيلة تبليغ لتلك الرسالة، ما أضاف إلى فلسفة عمل هذه المؤسّسة في المجتمع، أنّها مع كونها مؤسّسة تعليميّة لتبليغ العلم الدينيّ إلى الناس، إلّا أنّها جامعة للتقنين

الشرعيّ والخُلُقيّ والمعرفيّ للدولة والمجتمع الإنسانيّ. ولذلك، فإنّ رسالتها تعبّر عن رسالة القانون والعدالة والمعرفة والأخلاق والفكر للبشريّة بأفرادها ومصاديقها كافّة.

وتعبّر روح الرسالة الحوزويّة عن هدف دنيويّ يطمح لتحقيق سعادة المكلَّف في تأدية التكاليف الشرعيّة، وهدف أخرويّ يطمح إلى تحقيق سعادة المؤمن في الحياة الآخرة، بعد تأدية تكاليفه في الدنيا؛ وهذا هو المقصود من سعادة الدارَين في الروايات الدينيّة. وأصالة التعليم الدينيّ في فلسفة عمل الحوزة العلميّة، يفتح لنا الباب لرؤية أهداف الحوزة العلميّة في المجتمع المعاصر. فمن أهمّ أهداف الحوزة، خلقُ المجتمع الدينيّ الفاضل، القائم على أُسُس العدالة والتقوى والعلم والمعرفة، بالاعتماد على الدراسات المنهجيّة المعمّقة، المرتكِزة على مبدأ الاجتهاد، بمختلف أدواته.

الدور الجهاديّ والسياسيّ للحوزة وعلمائها

بات واضحًا، أنّ هدف الحوزة العلميّة هو الدفاع عن الدين، وحفظ بيضة الإسلام، وإرساء تعاليم الدين الإسلاميّ، عقيدةً وشريعةً وقيمًا، في المجتمعات الإسلاميّة، في توزّعها وامتدادها الجغرافيّ كلّه؛ إذ لا يحدّ الدين جغرافية البلدان والأمصار المتعارفة. وعليه، كانت الحوزة العلميّة، بعلمائها ومراجعها وفكرها المعطاء، موجودةً بفعالية على امتداد التاريخ، على الثغر

الأوّل في الذود عن حياض الإسـلام والمسلمين. وتسـتند هذه الرؤية على أسـاس أنّ «الدين هو رسالة الحياة، والطريق الوحيد للخلاص من المشاكل والمصاعب التي حلَّت بالعالم، والتي سـتحلُّ في مـا بعد، وهو القادر على إعطاء الحلول الناجعة للمعضلات الاجتماعيّة التي تعاني منها المجتمعات البشريّة...»[1].

ويتبلور الدور الجهاديّ والسياسيّ للحوزة العلميّة وعلمائها، في الجهاد التبليغيّ، الذي يشـكّل المسـؤوليّة الدائمة للحـوزات الدينيّة. ويجب على العلـماء، بصفتهم رافعي رايـة التديّن، أن يحملوا عـلى عاتقهم راية الدعوة إلى الديـن، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في تبليـغ الدين، عبر تبيين المبادئ والقيم الإسـلاميّة، وتثبيتهـا، والدفاع عنها. وهذا تكليف مسـتمرّ، يتأكّد في الظروف الراهنة؛ حيث اتّسعت دائرة التحدّيات والاحتياجات والتساؤلات، واشتدّ الظمأ إلى منهل الإسلام العذب. وإنّ اتّساع مساحة المخاطَبين رسَّخَت مسـؤوليّة الدعاة المبلّغـين في الوقت الحاضر، وجعلَتهم مسـؤولين حيال الناس المتعطّشين للمعارف الدينيّة.

ومـا مواجهة الحـركات العلمانيّة بالبحـث والردّ والنقـد والتأصيل، وردّ

1 - مـن خطاب للإمام الخامنئيّ في بدايـة العام الدراسيّ في الحوزة العلميّة، في 9 ربيع الثاني 1416هـ.

تعدّيات الأنظمة الظالمة، إلّا أحد أوجُه هذا الجهاد الفكريّ والسياسيّ. وفي العصر الراهن، تُعَدّ الفتوى الشرعيّة في الجهاد الكفائيّ، التي أوجَبَها المرجع الدينيّ سماحة آية الله العظمى السيّد عليّ السيستانيّ بتاريخ 13 حزيران 2014، أحد أبرز نماذج الجهاد الذي تصدَّت له المرجعيّة العليا في النجف الأشرف، حيث أعلن سماحة الشيخ (عبد المهديّ الكربلائيّ) من العتبة الحسينيّة، ومن على منبر خطبة صلاة الجمعة، قائلاً: «... وفي الوقت الذي تؤكّد فيه المرجعيّة الدينيّة العليا دعمها وإسنادها لكم [القوّات المسلّحة]، فإنّها تحثّكم على التحلّي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر، وتؤكّد على أنّ مَن يضحّي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم، فإنّه يكون شهيدًا إن شاء الله تعالى... المطلوب أن يحثّ الأب ابنه، والأمُّ ابنها، والزوجة زوجها، على الصمود والثبات دفاعًا عن حرمات هذا البلد ومواطنيه...»، ورأى أنّ هذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائيّ... وقد ارتقى لهذه الغاية مئات الشهداء من علماء الحوزة العلميّة وطلبتها في النجف الأشرف.

الحوزة العلميّة بين الواقع والطموح

على مدى الزمان، كانت تتواجد في الحوزة الدينيّة مشاريع الإصلاح، التي لا تنقض ما سبقها، ولكنّها تضيف إليه، بنظرة استشرافيّة تلحظ الاحتياجات

والتحدّيات المعاصرة التي ينبغي أن تحتلّ الأولويّة والصدارة في الحوزة العلميّة في كلّ عصر، انسجامًا مع دورها وتاريخها الجهادي والسياسيّ والاجتماعيّ والعلميّ، فكانت كلّ أطروحة إصلاحيّة في الحوزة العلميّة تستند إلى دراسة الواقع، وتقييم مدى تحقيقه للأهداف الواقعيّة والطموحة المرسومة لها على مستوى العمليّة التعليميّة والتربويّة، وما يرتبط بها في التحقيق والبحث العلميّ في الدائرة الداخليّة، ودراسة مدى تحقيق الوظائف العامّة والكبرى في الدائرة الأوسع التي تشمل القضايا الإستراتيجيّة.

وفي هذا السياق، يَظهر للمتتبّع أنّه لا يمكن تحديد بداية دقيقة للشروع في الإصلاح الحوزيّ؛ وذلك لأنّه يمكن أن يُفترَض بأنّ العلماء كلّهم، أو جلّهم، كانوا من دعاة الإصلاح والتجديد، وكلّ مَن كتب وصنّف نجده يرى أنّ ما صنّفه قد سدّ ثغرة في ذلك الفراغ، وهو نوعٌ من الإصلاح. فهذا (الشيخ الكلينيّ) يفتتح كتابه الكافي بقوله: «... وقلتَ: إنّك تحبّ أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع [فيه] مِن جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلّم، ويرجع إليه المسترشد...[1]»، خاصّة أنّ تأليف الكلينيّ لكتابه كان استجابةً لإحساسٍ بالحاجة إلى مثل كتاب الكافي في الأصول والفروع، أبرزَها بعضُ إخوانه، فإنّ مثل هذا العمل ينسجم مع مبادئ الإصلاح المذكورة؛ كونه ينطلق من تقييم الواقع، ويبرز الحاجة إلى

1 - محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج1، ص 8.

مثل هذا التصنيف في هذه المرحلة مع وجود تراث أصحاب الأئمّة (ع) في ذلك الزمن. وها هو (العلاّمة الحليّ) يقول في مقدّمة كتابه «مختلف الشيعة» ما نصّه: «وهذا الكتاب لم يسبقنا إليه أحد ممّن تقدَّمَنا من العلماء، ولا نهج طريق الأدلّة فيه مَن تقدَّم من الفضلاء...»[1]. وهكذا غيرهما.

تجربة جمعيّة منتدى النشر

أدرك جماعة من علماء النجف -عُرِفوا باسم المثلّث المتساوي الأضلاع، أو الصفوة، وهم: الشيخ جواد الحجامي، والشيخ محمّد حسين المظفر، والسيّد عليّ بحر العلوم- الحاجة إلى إصلاح تعليميّ يطال الدراسة في حوزة النجف، وسعوا إلى تحقيق غايتهم بإخلاص وجدّ، وأطلقوا على مشروعهم اسم «منتدى النشر». يقول الشيخ المظفّر: «وأسميناه بهذا الاسم حتّى لا يلفت الأنظار إلى هدفنا، فيُقاوَم قبل أن يخطو بعض الخطوات»[2]، وفي هذا إشارة إلى جدّيّتهم وإخلاصهم من جهة، واحترام الرأي الآخر الذي لا يرتضي بمثل هذه الأطروحة من جهة أخرى. وقد اقترن اسم هذه الجمعيّة باسم الشيخ

1 - الحسن بن يوسف المطهّر، مختلف الشيعة، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، لا ت، ج1، ص 174.

2 - الشيخ محمّد رضا المظفّر، مجلّة العرفان (صيدا)، مج 29، ج8 و9، رجب 1349هـ. أيلول 1930م. نقلاً عن: عليّ البهادلي، الحوزة العلميّة في النجف، ص 313.

محمّد رضا المظفّر، نظرًا لِما بذله الشيخ في سبيل هذا المشروع، حيث عمل الشـيخ -تحت هذا العنـوان- على تطوير مشروعه، فكان أن سـعى إلى تغيير نمط الدراسة الحوزويّة، فأنشأ «كلّيّة الفقه» لهذه الغاية، والتي «هزَّت النوادي النجفيّة هزَّة عنيفة، اشترك فيها الكبير والصغير، والعالِم والجاهل. وقد بلغ عدد الموقِّعـين على ورقة شروط العمل المئتَين، وهم رجال العلم بالنجف، وأهل الكلمة فيه»[1]. ولأجل الكلّيّة، ألَّفَ الشيخ وغيره من العلماء عددًا من الكتب، التي تحوَّلَت في ما بعد إلى مناهج مقرَّرة للتدريس في حوزة النجف وغيرها، مثل كتاب المنطق، والأصول العامّة للفقه المقارن، وغيرها من الكتب.

ويبدو أنّ حركة (الشـيخ المظفَّر) لم تحقّق أهدافها كلّها، قياسًا مع النتائج المحقَّقـة؛ وذلك لأنّه كان يسـعى لإصلاح الدراسـة الحوزويّة في مراحلها الأولى، وتحويلها إلى دراسـة أكاديميّة منظّمة تقوم على الأُسُس نفسها التي تقوم عليها الدراسـة في الجامعات، إلّا أنّ هـذا لم يحصل، بل كانت الكلّيّة في النجف تسـير جنبًا إلى جنب مع الدراسـة الحوزويّة التقليديّة. وأمّا على مسـتوى مَن تخرَّج من الكلّيّة، فقد ذكر بعضهم عددًا من العلماء ممّن يُشـار إليهم بالبنان[2].

1 - محمّد مهديّ الآصفي، مدرسة النجف وحركتها الإصلاحيّة، 115.

2 - انظر: عليّ البهادلي، م.س.، ص 323.

حركة الشيخ كاشف الغطاء الإصلاحيّة في النجف

عُرِف الشـيخ (محمّد حسـين كاشـف الغطـاء)، المولـود في النجف عام 1294هـ، بشـخصيّته العلميّة الفذّة، إذ تتلمذ على عدد من الأساتذة والعظماء، كـصاحب العروة الوثقى (السيّد محمّد كاظم اليزديّ)، وعُرِف بكتابته وتصدّيه البحثيّ في الكثير من المجـالات، وبعناوين مختلفة. ومن أبرز ما كتب: أصل الشيعة وأصولها، تحرير المجلّة (شرح لمجلّة الأحكام العدليّة)... وقد سعى في طرحه لمشروعه إلى حلّ مسألة التجنيد الإجباريّ، حيث لم يكن يُعفَى الطالب من التأجيل إلّا إذا كان منتسبًا إلى مدرسة رسميّة معترَف بها من قِبَل السلطات. ولقد حاول الشـيخ (محمّد حسين كاشـف الغطاء) أن يخفّف هذا العبء عن الطالب الحوزويّ، فأعاد إعمار مدرسـة «المعتمـد»، وجعل فيها جناحًا بصفة مدرسة رسميّة دينيّة، يُعفى الطالب فيه من التجنيد إذا امتحنه أساتذتها ونجح[1].

ومن أبرز معالم المشروع، أنّه وضـع منهاجًا عامًّا للدروس والكتب التي يُفتَرَض دراستها. وقسّم التعليم إلى ثلاثة مراحل:

أوّليّ: يتلقّى الطالب في هذا المقطع علوم المقدّمات والمبادئ.

وثانوي: يكمل به اللازم من علوم المقدّمات، مع قسم من دروس العلوم التي يُراد التخصّص بها.

---

1 - انظر: المصدر نفسـه، ج3، ص184، وج1، ص128. وكذلك موسوعة العتبات المقدّسة، ج7، ص137.

وعال: وهو مرحلة التعليم المتخصّص، وحدّد لكلّ مرحلة مدّة زمنيّة. مضافًا إلى عمله على:

- اختيار الأساتذة على أساس الكفاءة والاختصاص.
- اعتماد نظام الامتحانات الدوريّة في أثناء السنة، وفي آخر كلّ سنة.
- تبديل الكتب الدراسيّة، أو تقويم أخطائها، أو حذف الزوائد منها، ثمّ تقسيمها حسب عقليّات الطلّاب ومستوياتهم الفكريّة.
- اختيار الطلّاب على أُسُس علميّة منهجيّة تعتمد على كفاءتهم واستعداداتهم.
- إنشاء مجلّة تُعنَى بنشر الأفكار العلميّة الدينيّة الجيّدة.
- تبادُل البعثات العلميّة بين مدرستَي النجف والأزهر، تمهيدًا لتوحيد مناهج التعليم وأساليب التدريس في كِلتا المدرستَين.
- تعديل المناهج الدراسيّة المقرَّرة في الحوزة، بإدخال بعض الموادّ الجديدة التي يحتاجها الطالب، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأخلاق، وغير ذلك من العلوم التي تمسس الحاجة إلى الاطّلاع عليها[1].

مدرسة الجزائريّ

وُلِد الشيخ (عزّ الدين الجزائريّ) في النجف (عام 1342هـ / 1924م)،

1 - انظر: بوادر الإصلاح في جامعة النجف، مجلّة العرفان (صيدا، لبنان) مج29، ج2، 1348هـ/ 1939م.

وتلقّـى علومه فيهـا. ومن مميّزاته، أنّـه جمع بين التحصيـل العلميّ الدينيّ وغيره، فقد حصل على شهادة الدبلوم في الهندسة المدنيّة، وشهادة أخرى في علوم التجميل، وشهادة ثالثة في العلوم التجاريّة. ويبدو أنّ جَمْعَه بين الدراسة الأكاديميّة والدراسـة الحوزويّة، هو الذي دعاه إلى تأسـيس مدرسة حملَت اسـمه (عام 1377هـ / 1957م)، واعتمد فيها أسـلوب الدراسـة الأكاديميّة. وصدر عن هذه المدرسة مجلّتان: أولاهما باسم «الذكرى»، صدر منها عشرة أجزاء، ثمّ مجلّة ثانية باسم «رسالة النجف»، توقّفَت بعد صدور العدد الثالث. ولا تختلف عناصر مشروع (الجزائريّ) عمّا كان عليه مشروع الشيخ (كاشف الغطاء)، إلّا في دعوته إلى التخصّص في الفروع العلميّة المختلفة، كالقضاء والاجتهاد والتبليغ وغيره...[1].

نظرة استشرافيّة في الاحتياجات والتحدّيات المعاصرة

بناءً على ما ذكرناه سـابقًا حول غاية الحوزة العلميّـة وأهدافها، يتّضح أنّه لا بدّ للكيـان الحوزويّ من أن يكـون حيًّا فاعلاً في الحيـاة الاجتماعيّة في الأزمنة والعصور كلّها، ومسـاهمًا في رفد المجتمع بعناصر القوّة والتماسك

1 - لمزيد مـن الاطّلاع عن مدرسـة الجزائريّ، انظر: البهـادلي (م.س.) ص332، ومحسن محمّد محسـن، من التنظيم الدراسيّ في النجف الأشرف، ط1، بيروت، دار المحجّة البيضاء، 1998م، ص 15 وما بعدها.

والثبات كلّهـا، وأن يكون متجاوبًا مع تطلّعات العـصر وتحدّياته ومتطلّباته واحتياجاته. خاصّة أنّنـا حينما نتصفّح أوراق تاريخ الحـوزة العلميّة لقرون خلت، سواء في حوزة جبل عامل، وفي حوزتيَ قمّ والريّ، أو بغداد، وبعدها في حوزتيَ النجف أو قمّ ثانيةً، نجدها متألّقة زاهية، وتنتابنا حالة من الاعتزاز والفخـر حينما نلاحظ أعلام الطائفـة، مثل الصَّدُوقَين، والكلينيّ، والشـيخ المفيد، والسيّد المرتضى، وشيخ الطائفة، والعلاّمة الحليّ، والمحقّق، وفخر المحقّقين، وأضرابهم كثير ممّن امتلأت بهم ساحات العلم والجهاد ومواجهة الظالمين، واستطاعوا أن يرتقوا بمدارسهم الفكريّة وجهادهم إلى قمّة التطوّر، وذروة الانسجام مع الواقع الذي كانوا يعيشونه، في معادلة حافظوا فيها على الأصالة العلميّة للحوزة وثوابتها، ورسـموا للمجتمع معالم المقاومة العلميّة والفكريّة -التي كانوا قادتها- وأُسُسها، في مواجهة الظالمين والمستكبرين.

بالتعريف وبالضرورة، الدين الإسلاميّ هو مشروع لتغيير حياة الأمّة إيجابًا، في مختلـف الأبعـاد الإنسـانيّة، وبمتطلّباتها كلّها، بما ينسـجم مع قيم هذا الدين وثوابته. ومن المعلوم أنّ العلماء، من المحدّثين والفقهاء والمجتهدين والمتكلّمين وغيرهم، الذين هم أمناء الرسـل في عـصر الغيبة، ومن بعدهم المراكز والحوزات العلميّة، قد أخذوا على عاتقهم وظيفة التصدّي في تبليغ الرسـالة، وتفسـير الدين بما هو منظومة متكاملة للحيـاة، وشرح النظريّات الدينيّـة المختلفة، وأصبـح منوطًا بهم خدمة مَن يريد فهـم الدين ونظريّاته،

الذي لن يعدو أن يسـأل المفسّر الرسميّ له، وهو الحوزات العلميّة. وعليه، فإن لم تتدخّل الحوزة، بمؤسّسـاتها وعلمائها وأسـاتذتها، للإجابة عن هذه التسـاؤلات، والاسـتجابة لهذه التحدّيـات، ووضع الحلول المناسـبة لها، فهذا يعني أنّها تترك السـاحة لغيرهـا، فالآخرون لن يسـكتوا عن ذلك؛ لأنّ هذه القضايا الحيّة تتطلّب إجابات ومعالجـات منهجيّة وعلميّة موضوعيّة، فإنّ حركة الحياة لا تتوقّف بسـكوتنا، بل سيقدّم الآخرون نظريّاتهم ورؤاهم وقراءاتهم في هذه المجالات، باسـم الدين. وحيـثُ لا يمكن حظْر الأفكار المنحرفة، وكنتيجة منطقيّة للواقع الحاليّ، تتراكم التحدّيات العلميّة والتربويّة والتعليميّة، فضلاً عن الفكريّة والفلسـفيّة في السـاحة العلميّة، والتي بدأت تشقّ طريقها، وتأخذ مكانها الطبيعيّ في منظومتنا التربويّة والعلميّة، وما ذلك إلّا لشـيوع روح التبعيّة والتقليد، بعد ترك سـاحة صناعة وصياغة النظريّات وتكوين الرؤى لغير علماء الحوزة، أو للمدّعين وغير المؤهّلين.

هذا، مع العلـم أنّ الحوزة، بكلّ مقوّماتهـا العلميّة وأصحاب التخصّص بها، هي الجهة العلميّة الوحيدة التي تمتلك الأهليّة العلميّة الكاملة للتصدّي الفكريّ والفلسـفيّ للتحدّيات المعاصرة والشـبهات كلّهـا، التي تُطرَح من داخل المجتمع الإسلاميّ أو من الخارج، حيث تتنوّع هذه الأطروحات، فتارة تطـال العقيدة والألوهيّة بعنوان الإلحاد، وأخرى تدخل إلى نظامنا الحقوقيّ (الفقهيّ) من بوّابة حقوق الإنسـان في قضايا نظـام الأسرة والمرأة والطفولة

ونحوها، وثالثة تشـكّك في نظامنا الاجتماعيّ، وأنّه لا يلبّي تطلّعات الناس واحتياجاتهم، وغيرها الكثير...

ولا بُدّ من الإشارة أخيرًا، إلى أنّ التجديد والإصلاح لا يعني الانقطاع عن التراث والسنن الحوزويّة الحسنة، بل المقصود منه هو المحافظة على تراث الحوزة، واستكمال النواقص، فهناك الكثير من السنن والعادات الحسنة على مستوى الدراسة الحوزويّة، منها: العلاقة مع الأستاذ، والمباحثة، والإخلاص للـدرس، وعدم الالتفات للشـهادة، والحرّيّة في اختيار المـدرّس...، فهذه العادات الحسنة يجب المحافظة عليها، والدفاع عنها، واستحضار غيرها من الأمور التي تؤدّي إلى تطوير العمل وتحسينه.

لائحة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.

2. الآصفي، محمّد مهديّ، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحيّة فيها، ط2، النجف، منشورات دار النعمان، 1965م.

3. آغا بزگ الطهرانيّ، محمّد محسن، طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1992.

4. ابـن منظور، محمّد بن مكرم، لسـان العرب، دار المعـارف، القاهرة - مصر، لا ت.

5. البهـادليّ، عليّ أحمـد، الحوزة العلميّة في النجـف معالمها وحركتها الإصلاحيّة، ط1، بيروت، دار الزهراء للنشر والتوزيع، 1980م.

6. الحلّيّ، الحسن بن يوسف المطهّر، مختلف الشيعة، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، لا ت.

7. الخامنئيّ، عليّ، خطاب في بداية العـام الدراسيّ في الحوزة العلميّة، في 9 ربيع الثاني 1416هـ.

8. الخليلي، جعفر، موسـوعة العتبات المقدّسـة، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لا ت.

9. الصـدر، محمّـد باقر، المعـالم الجديدة في الأصـول، ط2، النجف،

منشورات دار النعمان، 1975م.

10. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1365 هـ.ش.

11. المجلسيّ، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، 2001م.

12. محسن، محسن محمّد، من التنظيم الدراسيّ في النجف الأشرف، ط1، بيروت، دار المحجّة البيضاء، 1998م.

13. النجاشيّ، أحمد بن عليّ، رجال النجاشيّ، ط5، قمّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، 1416هـ.

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638